

## سجنية عمر شكيري: المضمون والبناء

د/ حورية رواق  
جامعة خنشلة ( الجزائر )

### ABSTRACT

One of the poems which broke the prisons bars to prove to us the truth that the creation born from the womb of suffering, and the crises intensified just to be resolved, and that the diaries of prison that been written in the darkness, it know it one way to achieve the highest pleasure, the pleasure of desired freedom.

اختلف النقاد في تحديد ماهية الكتابة في السجون والمعتقلات فيما يمكن عدّها مستوفية للشروط الإبداعية كونها لا تصل إلى مستوى العمل الفني الناضج لدى بعضهم، وكونها لا تتعدّى الإبلاغ في صورة تقريرية ولغة خطابية مباشرة تبتعد عن جمالية الأدب نثرا كان أم شعرا لدى بعضهم الآخر.

إنّ مثل هذه النظرة قد تكون مصيبة لبعض حقيقة هذا النوع من الكتابة شريطة تجريبها من الظروف التي كتبت فيها أمّا ربطها بموقع الحدث، و قراءتها ضمن ملابساتها، و أبعادها فهو ما يجعلها خلافا لذلك. ولأنّ الشاعر لا يملك في معتقله إلا الكلمة ينفس بها عن مرارة العذاب، ولأجل الحرّية هذا الهدف الأسمى يصبح للكلمة على بساطتها وجود فعلي فتكون وجها من وجوه التجربة الإنسانية.

والشاعر إذ يسجل دون تردّد تجربة المعتقل إنّما ينقل عبر نصوصه ذات المعجم البسيط والمباشر معاني لأشياء كثيرة قد لا يعبرها من ينعم بالحرّية معيارا. وهنا تكمن حقيقة أن يكون أدب السجون إبداعا بكلّ ما في الكلمة من معان، وحينها يجد فيه المتلقّي ليس الفائدة والعبرة فحسب بل المتعة بوجوهها المختلفة في القول، وإنّ نظرة فاحصة لمعظم الشعر المكتوب في السجون في الجزائر أثناء الثورة التحريرية الكبرى لخبر دليل على ذلك. خاصّة حين يتعلّق الأمر بمواجهة الاستعمار الذي لطالما كان هدفه القضاء على ثوابت الأمة المستعمرة، والجزائر التي ذاقته مرارته قد أعطت لشعوب العالم درسا في المواجهة القويّة، والعزم المستمرّ. ولأنّ الأدب كان دوما مرافقا للأوضاع العامّة فقد استطاع شعراء الجزائر من النّوار الأحرار وبخاصّة السّجناء والمعتقلين تدوين المعاناة بشتّى تفاصيلها وصورها في قصائد خلّدت فكانت مواضيعها تدور حول مضامين الظلم، والقهر، والاضطهاد، والحنين والاستشراق للحرّية، والحياة الكريمة، حتّى أطلق على الشاعر مفدي زكريا شاعر الثورة لأنّه كان نائرا قبل أن يكون شاعرا، وأمثاله لا شكّ ف الجزائر كثر.

وسنقف عند نموذج شعري لواحد من هؤلاء إنه الشاعر عمر شكري<sup>(1)</sup> الذي أقام بأكثر من معتقل، وما كاد ليتحرر من الاعتقال حتى تفرض عليه الإقامة الجبرية إلى الاستقلال، وكونه أخذ على عهده تحرير بلاده فإن شعره كله في فترة الثورة يمضي في هذا السياق ومن قوله:

يا فرنسا لقد حكمت فجرت      و أكلت العباد ثم اجتريت  
سوف يغشاك بالعذاب سحاب      وترين الظلام من حيث سرت

ومن شعره المخطوط، والذي نملك بعض نصوصه، فقد اخترنا قصيدة طويلة له تقع في مائة وسبع وأربعين ( 147) بيتا وقد صيغت في قالب روائي قصي يحكي فيها معاناته في المعتقل، ونضاله ضدّ المستعمر، وصراعه مع العذاب، مسجلا سيرة ذاتية، وجماعية، وحقيقة تاريخية عبر قصيدته الموسومة بـ (نونية المعتقل)<sup>(2)</sup>، وقد حشد فيها كما من الأحداث عاشها في أثناء اعتقاله، إنها تعدّ ترجمانا للرغبة، والخوف، والقلق، والألم، و الحنين، و القوة، والثبات، والاعتداد بالنفس، والتمسك بالأمل المنشود وهو الحرية. وقد سلك في نظمها أسلوبا يمكن تسميته بأسلوب اللوحات، والتي تحدت لنا في الآتي بحسب مضمونها.

#### اللوحة الأولى:

وفيها حاور معتقلا جديدا زاره في السجن سائلا إياه عن حال أهله، وسكان منطقته إن كان عاودهم الاستعمار بانتهاك جديد يسبي فيه النساء ويقتل فيه المسنين مؤكدا على جرائمه المعتادة، يقول:

((يا زائر السجن أشباه عوادينا      نرثي لحالك أم نرثي لأهليتنا  
ماذا تقص علينا هل بداراتنا      ذاق الأسى قومنا والبؤس نادينا  
نعم رماهم عدو من شجاعت      سبي النساء وتقتيل المسنين))

وتحت وطأة وحشة السجن وقضاء الساعات الطوال في التفكير يسترسل الشاعر مستذكرا مستحضرا الكثير من العناصر الغائبة بحثا عن التأسّي والاستئناس، و لأنّ الأم هي أكبر عنصر للحنان، والأب أقوى مصدر للعطاء في سبيل الحرية فالشاعر يجد في مخاطبتهما قوة في مواجهة واقعه المرّ.

((يا أم صبرا جزاك الله مكرمة      هلا استرحت كفاك ما تلاقينا  
ويا أبي لا تضق ذرعا لمحتنا      ما ضيع الجد تلقانا مفدينا))

و يواصل عبر خياله هو وسيلته الوحيدة في الاتصال بأحبته من إخوة وأبناء فمنهم جميعا يستمدّ الصبر في مواجهة معاناة الغربة والحنين وكله أمل بواقع أفضل يجتمع فيه الأحبة مستظّلين بظلال الحرية.

ويا شقيقة عمري كفكفي أسفا      إن المصائب يصنع المجلينا  
ويا صغار اضطبارا أنتم أمل      لقومنا ورجاء للمجدينا

عن الحمى أو علا بند بوادينا  
آمالنا وحدة رغم المعاديننا

لولاكم لم تمت نفس طواعية  
فإن يك السجن يا ابن الأم فرقتنا

#### اللّوحة الثّانية

وقد ذهب الشّاعر فيها إلى عرض شتّى جرائم المستعمر من بطش، وحرق، وتقتيل بأبشع الطّرق، وإخراج المواطنين من بيوتهم في هجمات البرد، والرياح عراة حفاة ولعلّ أكبر فنون الإجرام هو حرق النّاس أحياء ذنبهم في ذلك إخلاصهم لدينهم ووطنهم ورفضهم إذلال أنفسهم لغير الله.

عمّ البلاد السّهل واجتثّت روابينا  
وكم مداشر دكّوها غدت طينا  
والريّح تنسف أجساد المصابينا  
إلاّ القميص ارتدّوه والتّبابينا  
يصلّى لظاها ويغشاها مياديننا  
وقدّموا للحمى الأرواح عربونا  
ولم يذلّوا لغير الله داعيننا))

((بطش وحرق وتقتيل ومفسدة  
كم من ديار على سكّانها سقطت  
في هجمة البرد والأمطار هاطلة  
سيقوا حفاة عراة من منازلهم  
ومنهم من غدا للحرب مسعرها  
باعوا نفوسهم لله خالصة  
لم يخفضوا هامهم إلاّ لخالقها

ولأنّ عمر شكيري ألغى ذاته أمام الواجب الوطني نجده يؤكّد على هدفه الذي هو هدف كلّ ثائر أحبّ وطنه فاستطاع أن يعيش ملكا حتّى وهو يجابه الموت فكان تصويره لبسالة الثّوار في غارات شتّت على المستعمر، محقّقين الفوز، غير آبهين بقوة المستعمر مع قلّة عددهم، وعدّتهم، واضعين نصب أعينهم خيار واحدا وهو إمّا الحياة أو الموت.

وأشعلوها لظى تكوي المغيرينا  
ولم ترعهم وخاضوها أفانينا  
لسوف تخرج منها صاغا حينا  
على الكثير وإنّ عدّوا ملايننا  
والحقّ يعلو ولا يعلى بأيدينا))

((من عزمهم أوقدوا نيرانها لهبا  
لم تثنهم قوّة الخصم هائلة  
قل للعدوّ وإنّ غرّته قوّته  
كم من قليل وعون الله أظهرهم  
والظّلم مهما طغى سلطانه هدر

وكيف لا يتحقّق النّصر لثورة خاضها جميع فئات الشّعب الجزائري على اختلاف أعراقهم ولغاتهم وأجناسهم) عربا، وأمازيغ، ورجالا ونساء) فكلّ أبلى بلاءه في دحر تطلّعات المستعمر للقضاء على الشّخصية الجزائرية، لكن هيهات فليس لهذا الشّعب إلاّ العيش عيشة الملوك الأقوياء، وكم كان القربان أسطوريا تحدّثت عنه شعوب العالم وصار نموذجا للباحثين عن الحرّية.

دنا الورى لم نهن دنيا ولا ديننا  
وقدرة سمحة قدنا السّلاطيننا

((نحن الأعراب لا جبن ولا خور  
بحكمة هذه سسنا ممالكنا

|                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ولم يهن ليد الأعدا أهالينا      | منّا الأمازيغ قاد الحرب فارسنا |
| فوق الجبال إذا هبوا شياطينا     | منّا النمامشة الأبطال تحسبهم   |
| في الخالدين ملاقاتة المجالينا   | أحفاد كاهنة الأوراس سجلها      |
| والسيف يشهد ما هابت مياديننا    | حسان يشهد ما خانت مواطنها      |
| وخلفت حكمة مشهورة فينا          | صانت حماها ولم تبذل كرامتها    |
| أو جابهوا الموت لاقوه فراعينا)) | إنّ الملوك ملوك في حياتهم      |

### اللوحة الثالثة

أمّا في هذه اللوحة فقد قام بتصوير دقيق ومفصّل لحادثة اعتقاله، ومعاناته بدءا من إلقاء القبض عليه، وقيادته مغلولاً إلى مقرّ الشرطة فأدخله السّجن، وما رافق ذلك من مشاركة الحشرات له في إقامته، واقتراشه الأرض، وتوسّده حذائه وقد تعمّد الشّاعر ذكر كل صغيرة وكبيرة لنقل الصّورة البشعة، والمريرة لحياة المعتقل حتّى يدرك من هم خارجة كم هي الحرّية غالبية . وفي هذه اللوحة أيضا يسرد لنا عملية ترحيله من معتقل إلى آخر وما يتبع هذه الرحلة من تعذيب، واستنطاق بمختلف أشكاله الجسماني والنّفسي.

|                               |                                   |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| طش العذاب يوما كنّا بغافينا   | ((من شهر أفريل في العشرين حلّ بنا |
| خلا منها إلى العليا تسامينا   | وجدت نفسي في الدّوزيام منزويا     |
| وقبلنا الخلق ألّقوها بتشرينا  | في البرواقية ألّقينا رواحلنا      |
| من السّيّاط والتّعذيب أفانينا | ومنهم من قضى حولا ومطعمه          |
| يداه أو يأخذوا عنه براهينا    | ليخرجوا منه إقرارا بما اقترفت     |
| وكلّ ناقمهم عسفا وتفتينا))    | فما استفادوا بشيء بعد أن عجزوا    |

وهذا الإصرار الذي نجده عند الشّاعر في عدم البوح بأسرار الثّورة نجده ماثلا ومستقرا في ذوات كلّ المعتقلين على اختلاف أعمارهم شبانا وشيوخا،إنّه العهد الذي لا يحيدون عنه. وهو عهد سنّته الثّورة التحريرية لكلّ الجزائريين في أدبياتها.

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| والرأس مشتعل شيبا وتخميننا    | ((هنا شيوخ انحت كالقوس أظهرهم |
| صلابة الصّخر لا تعنو لشارينا  | في الجسم ضعف ولكن في عزيمته   |
| و غلّة احتسبوا الإباء عافينا  | هنا صغار سنّ الرّشد لثم يصلوا |
| سدّا منيعا لما هابوه مرجينا)) | هنا فحول لو أنّ الموت قام لهم |

غير أنّ العدو لا يقف عند استنطاقهم بل يتلذّد بتعذيبهم حتّى الموت، وذلك حين يتمادى في عقابهم على أمل من في الحصول على بعض أسرار الثّورة فهو يوقفهم السّاعات الطّوال تحت أشعة الشّمس الحارقة ثمّ رميهم بالرّصاص إذا ما فشلت كلّ خطط العقاب.

نصفَ مثنى فمثنى حولنا عدد  
تلقى المدافع في غيظ تلاحقنا  
حتىّ يجاب على الأسماء فتان رفضوا

## اللوحة الرابعة

هذه اللوحة الخاتمة السّاخرة يقول:

((كُنَّا رَافِقًا تَعْقِدُ الْمَسْكَ تَجْمَعُنَا  
سَحْنُونَ "سَان لَو" وَمَعَهُ فِي جَمَاعَتِهِ  
وَبَعْدَهُ "ابْن عَتِيق" فِي سَرِيرَتِهِ  
يَا مَنْ رَأَى "عَمْرًا" تَجْلُوهُ لِحِيَتِهِ  
يُرْعَى الْقُدُورَ بِإِخْلَاصٍ وَتَجَرِبَةٍ

غير ذلك من الأوجاع والآلام).

((لما شرينا شرينا في مصارننا  
فالمشمش الفجّ والزعرور فاكهة  
كم من مريض غدا يشكو قدراتها  
إذا برجلك جرح غائر ورم  
أو كان حلقك باللوزات منتفخا  
يمد للكلّ لا فحص ولا ثقة

الأفكار فهي أقوى من كلّ سجن، أو لعلّها قوة إبداع الكتابة في السجون.

## القصيدة فنّيّا

من العدل والنّص قد كتب في فترة لها من الخصوصية مالهّا أن يدرس أسلوبه و أنواع التشكيل فيه بالنّظر إلى الطّروف التي أنشأته وإلى المتلقّي الموجّه إليه كونه عنصرا أساسيا في العملية الإبداعية. "القارئ هنا هو الذات الجماعية التي عاشت الأوضاع التاريخية للمبدع ثمّ الذات القادرة على إعادة بناء تصوّرات المقصد المباشر لهذا النّص، بمعنى تحقيق الاستمرارية للنّص أو تقمص جديد لفعله"<sup>(3)</sup>.

فعمر شكري حين نظم قصيدته إنّما قد نزل عبر تجربته الشعريّة إلى الواقع بكلّ ما فيه من آلام ليخطّ للشعب المكافح طريق النّور، غير أنّ الشّاعر كان واقعا تحت طرفي تجاذب النّزعة التّوريّة من جهة، والمعاناة الدّاتية التي لا يمكن التّصلّ منها فاستحضاره لعواطفه الأسرية جعل الفكرة تضطرب عنده، فهو بين ضيق وأمل، وتجهّم وإبتسام وغيرها من العواطف، ولأنّ نجاح مهمّتها تتوقّف على اختياره اللغة المناسبة في تبليغ رسالته عن طريق اختيار ((اللّظة - الصّورة)) التي تساعد القارئ أن يرى ويسمع ويشعر بالحياة كما هي وكما ينفعل بها الشّاعر"<sup>(4)</sup>. كانت الكلمة عنده أقوى من هذا الانقسام فهي الصّورة النّاقلة للفكرة. وبفحصنا للنّص أمكن لنا القول أنّنا نستطيع تحديد مكوناته الفنّية في:

## 1- المعجم

### أ - الألفاظ

إذا كانت اللغة أساس الإبداع والكتابة، أو الوعاء الذي يحمل ذلك الرّخم من الأفكار والمعاني، فهي في نونية عمر شكري أول إشكال يواجهها، ذلك لأنّ اللغة التي كتبت بها القصيدة والتي لا يمكن القول عنها إلّا أنّها فصيحة، نجدها تجنح إلى اللغة اليومية الجزائرية على تنوّعها، وهو ما يعرف باللغة الشعبيّة أو المتفاحصة. بمعنى آخر فإنّ لغة النّص إن كانت في عمومها معجمية ذات دلالات عربية، فإنّها تتصف بالمحليّة أحيانا في بعض استخداماتها، وكذا حين تتخللها بعض الألفاظ الدّخيلة ممّا يجعلها تتخلّى عن قولها الصّحيحة مع بقاء الدّلالة العربية المتعارف عليها، ومادام لكلّ شاعر معجمه الخاص المستمدّ من بيئته وثقافته، وانتمائه السّيّاسي، ومركزه الاجتماعي فعمر شكري لم يعدم هذا المعجم لينقل به بعض الدّلالات القابعة في ذاته عبر قصيدته، سواء تعلّق الأمر بخبر اعتقاله وقيادته إلى مقر الشّرطة، أو نقل معاناته في السّجن أو وصفه لكيفية معاملة السّجناء فيستخدم من الألفاظ ((أفري، الدّوزيام - أي مقر الشّرطة رقم اثنين - السّيما، - أي البلاط - القبقاب، - حذاء البيت - المتريات - نوع من البنادق - سان لو - اسم معتقل - المجاويع - أي الجياح - سي موح - أي السيّد محمد - القاملات - أوعية للأكل - القرون - أي الأرضي الشّوكي - الغناجي - أي الملاعق - مصارنا - أي الأمعاء، - دلاع - البطيخ الأحمر - مذبال - أي ذابل - اسبرينا - أقراص للأوجاع - الدّبابين - أي الدّباب -)). إلى جانب ألفاظ المعجم التّقليدي المعروفة من مثل (الأسى، البؤس، العدو، السّبي، التّقنيل، مكرمة، ذرعا، اصطبار، الحمى، الأرواح، الحقّ، الأبطال، السّيّاط، المدافع، وغيرها من الألفاظ التي تخدم الموضوع).

### ب - التراكيب

وعلى الرّغم من توظيف الشّاعر لمستويين من اللغة، الشعبيّة والفصيحة نجده على المستوى التّركيبي التّوظيفي يحاول اعتماد الإيحاء وذلك بانتقائه للعبارات التي يكون لها تأثير في المتلقّي، خاصّة وأنّ الموضوع لا يعيشه وحده إنّما تشاركه فيه فئة كبيرة من الشعب الذي يعيش حالة الحرب التي هي "رحى ثقلها الصّبر، ومدارها الاجتهاد، وثقافتها

الأناة، وزمامها الحذر ولكل شيء من هذه ثمرة، فثمرة الصبر التأيد، وثمره الاجتهاد التوفيق، وثمره الأناة اليمن وثمره الحذر السلامة ولكل مقام مقال" (٥)، فالشاعر وإن حافظ على المؤلف والمعهود من اللغة فقد استطاع أن يأتي بما يفى بالغرض في نقل الصورة الجميلة والفنية للمتلقى، سواء سما بلغته، فأتانا بتعابير فنية مشكلا صورا جميلة كما في قوله (ذاق الأسى، هجمة البرد، الشمس تشوي، اجننت روابينا، باعوا نفوسهم لله، خف الحنين، يسائل النجم، طأطأ الهام إجلالا، ألق الأرض ما بباطنها، إزهاق البريئين...) أو نزل بها إلى المحلية مستخدما ما ألفه عامة الناس. ( هبوا شياطينا ، لاقوه فراعينا، الأرض مطرح، والسيما زرابينا (السيما : البلاط)، القبقاب مستند: بمعنى أن كان يتوسد حذاءه، ليخرجوا منا إقرارا :أي ليعرفوا بعض الحقيقة...). أما جملة فقد توزعت على خبرية في حالات السرد والوصف وبخاصة حين يتعلّق الأمر بأفعال المستعمر الذي يصّر على جعله ماضيا منتهيا ( سيقوا حفاة، سامنا خصمنا سوء، روعهم طرق الجنود، عاث عاثهم سلبا،) ويستخدم المضارع حين يتحدّاه ( ليخرجوا منه إقرارا، أو يأخذوا براهين، لم نزل وأيادي الظلم تخرمنا) إنشائية حين ينادي أهله المقربين طالبا الصبر، يا أمّ ويا شقيقة عمري، أو حين يأمر صارخا مستصرخا، ردّوا علينا رفاقا ،خذونا معهم). ويكثر الشاعر من الجمل الاسمية بضمائرها المتنوعة بين الأنا والآخر، فردا وجماعة مؤثّرا ومذكّرا في لغة تقريرية حين يسترجع الماضي في لحظات الألم (نحن الأعارب، أحفاد كاهنة، وفتية أخلصوا، حسان يشهد ما خانت مواطنها، الريح تنسف) ويوظف الفعلية للدلالة على الحركة لم يخفضوا هامهم، لم يذلّوا لغير الله، خاضوا الموت، خلفت حكمة) وهذه التراكيب المتنوعة نجدها منسجمة إذا أخضعناها للموضوع المعبر عنه.

## 2 - التصوير

إن الحياة في السّجن تفرض أنماطا معيّنة من التعابير على مستوى الصورة ما جعلها تتنوّع في النّوعية إذ تجلّت في عدّة أشكال لها، فكان منها الصورة البصرية، والصورة اللفظية، والوجدانية الذاتية وكلّها غنيّة بالدلالات الاجتماعية، والنفسية، غير أنّه لم يكن لهذه الصور أن تكتسب الجمال الفنّي إلّا عن طريق توضيحها، و توشيتها بالزخارف اللفظية والإيقاعية. وهو ما أدى إلى تشكّل الصورة بمستويين: كلّية وجزئية فكانت في كلّ ذلك الناقل الحقيقي الحدث في إطار جمالي، وتشكيل منسجم مع الموضوع.

### أ- الصورة الكلية

وتتّضح في النّوعية من خلال رسم الشاعر لذلك المشهد الطويل واصفا على مدار واحد وعشرين بيتا معاملة المستعمر للمعتقلين عاكسا جزئيات الصورة من خلال معاناته وما كان يعتَمَل بداخله من أحاسيس. ومن خلال ودلالة المعجم المتعلّق بمكوّنات المضمون في عباراته وألفاظه التي رصد فيها ما يجري في سجنه ( الحشرات ، الزّائحة الننتة، المرض وغير ذلك من أوجه المعاناة )وهو ما نجده مقرّرا في الأبيات .

ماء حميما وزقّوما وغسلينا  
كأنّما القط قد قاء المصارينا  
 وخمسة أشركوا في حقّ سردينا  
وكم عليل تلوّى ليله حيناً

لما شربنا شربنا في مصارنا  
في حقّة جبن بالمعجون فاكهة  
والجبن من ريحه سدّت مناخرنا  
كم من مريض غدا يشكو قذارتها

### ب- الصورة الجزئية ( التقليدية)

وقد انطلق الشاعر في تشكيلها من عالمه الداخلي المحسوس والذي يلتقي فيه مع المتلقي الحامل للثقافة ذاتها، لذلك حقق استخدام العناصر الحسية الملتقطة من الواقع في صور التشبيه لديه إقناعاً للمتلقى سواء ما كان منها بصرياً أو حسياً سمعياً، ومن ثم نقبله تقبلاً جميلاً كما في نماذج الصور التالية:

التشبيه

قادوه كالكبش مغلولاً على عجل  
منا النمامشة الأبطال تحسبهم  
إن لم يقتل سيلقى البطش مسجوناً  
فوق الجبال إذا هبوا شياطيناً

الاستعارة

في هجمة البرد والأمطار هائلة  
حسان يشهد ما خانت مواطنها  
والزيج تنسف أجساد المصابينا  
والسيف يشهد ما هابت مياديننا

الكناية

باعوا نفوسهم لله خالصة  
ومنهم من غدا للحرب مسعرها  
وقدموا للحمى الأرواح عربونا  
يصلى لظاها ويغشاها مياديننا

التناص

ولأن الموروث الفكري الجمعي يساهم في بناء النص الشعري ولأن الشاعر ذو مرجعية ثقافية أدبية وإسلامية فقد تجلّى تراكمه الثقافي ذلك إذ أخذ ضمناً من القرآن الكريم ما استقام له لإيصال تجربته للمتلقى ( فهو في الأبيات التالية يتناص مع مجموعة من الآيات القرآنية كآية 23 من الأحزاب، و249 من البقرة، والآية 4 من مريم، والآية 43 من الدخان والواقعة 52 و54).

و فتية أخلصوا لله عهدهم  
كم من قليل وعون الله أظهرهم  
هنا شيوخ انحنت كالقوس أظهرهم  
لما شربنا شربنا في مصاريننا  
فمنهم من قضى نحبه ومن دينا<sup>6</sup>  
على الكثير إن عدوا الملائينا<sup>7</sup>  
والرأس مشتعل شيباً وتخميننا<sup>8</sup>  
ماء حميماً وزقوما وغسلينا<sup>9</sup>

إنّ مثل هذا التكتيف في إيراد الصور على اختلافها كلية كانت أم جزئية قد ساهم في البناء الجمالي للنص، وحقّق لدى المتلقى إحساساً بالصدق الفني، وأخرجه من بعض التقريرية والمباشرة كونه عملية سردية لمجموعة من الوقائع والأحداث كما هو ثابت.

### 3- التلوين البديعي

لا شك أنّ الصراع القابع في نفوس المعتقلين بين واقعهم المرير ومستقبلهم المنشود يجعل المتناقضات تؤدّي دورها في نقل التجربة الشعورية والشعرية بكل ما فيها من معاناة، إنها المعاناة ذاتها لدى من هم خارج السجون التي تجعلهم يحسون بجمال التجربة الشعرية من خلال مشاركتهم مبدعيها. وعمر شكيري قد راح يستعير من هذه الألوان الكثيرة ما يسعفه على شرح وتوضيح وتأكيد بل وتزيين معانيه من ذلك.

#### التصريح:

محافظة منه في السير على نهج الأقدمين وعبر مناجاة ذكية.

يا زائر السجن أشباه عوادينا      نرثي لأهلك أم نري لأهلينا

#### الطباق والمقابلة :

إنّ استخدام الشاعر لهذا التوازن لا يقف عند بنية البيت شكلا فحسب، بل يحقق تنفيس ضيق والتطلع لأمل، يقول:

فإن يك السجن يا ابن الأم فرقتنا      آمالنا وحدة رغم المعادينا

#### 4\_ الإيقاع والموسيقى

لقد كان الشاعر وفيًا في المحافظة على شكل القصيدة العربية التقليدية مثله مثل جل من كتبوا في شعر السجن أثناء الثورة التحريرية الجزائرية سواء في شكلها العمودي ونظام الشطرين المتكافئين، ووحدة البيت، والقافية، أو في وحدة موضوعها بحسب المنظور التقليدي لذلك عند القدماء، ولأجل تحقيق الجو الموسيقي استخدم الشاعر مجموعة من الظواهر الأسلوبية لإحداث موسيقى داخلية من ذلك.

##### أ- التكرار

##### - الحروف

و لما كان للتكرار من أثر في ترجمة الحالة النفسية للشاعر و نقل الحاضر المؤلم، فهو حين يقصد إلى بث آهاته المتأججة بداخله يستخدم النداء المتكرر للدلالة على مكانة المنادى من ذلك ( يا أم، يا أبي، يا شقيقة، يا ابن الأم، يا صغار ) ففي مثل هذه النداءات المتتالية لا شك يخفف الإحساس بالغرابة والوحشة والحنين، بل والتمسك بالنقاول والأمل في اجتماع الشمل من جديد. ومن مظاهره أيضا في النص تكرار ((أو)) كما في آخر النص حين تصويره لمعاناة حالات المرض الكثيرة في المعتقل ( أو كان بالظهر آلام، أو كان حلقك باللوزات منتفخا، أو مسك ريح، أو كنت مبطونا...).

##### - السوابق

يحدث تكرار بعض السوابق إيقاعا موسيقيا، إلى جانب تكثيف المشاعر، وفي النص يدعو الشاعر المتلقي إلى مشاركته البكاء وتحفيزه على ذلك باستحضاره لمجموعة من الأحداث المؤلمة باستخدام الحرف ((كم)) في بدايات الأبيات، و الأشر على التوالي كما في قوله: ( كم من ديار سقطت، وكم مداشر دكوها، كم نيام روعهم).

#### ب- الموسيقى الخارجية

ومن خلالها سار الشاعر " على نهج ابن زيدون وزنا وقافية ورويا وتسمية " (10). ولأن بحر البسيط من البحور المناسبة في حالات العذاب النفسي والجسدي كان حاملا لكل تلك المعاناة، بل إن في اختياره لحرف النون روبا حرصا آخر من الشاعر على مشاركة المتلقي له وذلك لما لهذا الحرف من خاصية تتمثل في "قوة الوضوح السمعي". (11)

بهذا العرض المقارباتي الوصفي التحليلي لنونية عمر شكري التي تصنف في شعر السجون يتجلى لنا شمولية الموضوع، واكتماله وفق شروط النص التقليدي من مقدمة، وصلب، ونهاية. فالمقدمة لخصت لنا المعاناة الجماعية للشعب الجزائري أثناء الحرب التحريرية سواء منهم بالمعتقلات، أو من هم خارجها فالكّل كان يعاني الظلم والقهر والتعذيب والتقتيل. وصلب النص عرض لنا لوحات تفصيلية لاستماتة الشعب من أجل الحرية وبالقدر الذي تقن فيه الاستعمار في تشريدتهم وتعذيبهم وقهرهم وسومهم أشكال العقاب والتنكيل، كان الأمل والطموح وقوة المواجهة والاتحاد في البقاء على العهد حتى تحقيق النصر والحياة الحرة الكريمة. وكانت النهاية صمودا واستمرارا رغم عدم تكافؤ المعركة لكن أصحاب الحق يؤمنون على الدوام أنّ الهزيمة هي نهاية كلّ ظالم مستبد وأنّ الحرية هي الهدف المنشود الذي لا بدّ له من التحقق.

كما قد اتضح على مستوى البنية الفنية اعتماد الشاعر الوسائط أو الآليات المألوفة في القصيدة العربية، حتى أننا نضعها مع نونية ابن زيدون في الإطار العام. أما في المعجم، والأسلوب، والصّور، والإيقاع فإنّها تماهت مع المألوف العربي مع مفارقات محدودة في توظيف عبارات منى معجم الحياة اليومية للمجتمع الجزائري.

## إحالات وهوامش

### - القرآن الكريم

- <sup>1</sup> - هو عمر أبو بكر شكري، ولد عام 1920 في بلدة قمار بوادي سوف، الجزائر، حفظ القرآن، وتعلّم مبادئ العربية بمسقط رأسه، سافر إلى تونس عام 1936 ليلحق بالكلية الزيتونية وتخرّج فيها عام 1944 بشهادة التّحصيل. التحق بسلك التّعليم الحرّ التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أدار عدّة مدارس ابتداء من عام 1947-1948، وعند قيام الثورة الجزائرية عام 1954 كان يقوم متطوعاً بإمامة الجمعة في أحد مساجد العاصمة. وفي بداية الاستقلال عين أستاذا بإحدى الثانويات، ولما أنشئت وزارة الأوقاف أثر الالتحاق بها حيث عمل مشرفاً على التّعليم الديني، ثمّ موظفاً سامياً بها إلى نهاية عام 1988 حيث أحيل إلى التقاعد. له مشاركات كثيرة في الحياة الأدبية بمقالاته وقصائده الشعريّة، ولكنّه لم يطبع شعره في ديوان بعد. معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، المجلّد الثالث، الطبعة الثانية 2002 ص 810
- <sup>2</sup> - شكري عمر، نونية المعتقل، مخطوط أملك نسخة منه.
- <sup>3</sup> - د. بلمليح إدريس، قراءة القصيدة التقليدية، دورة الأخطل الصّغير، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، دورة 1998، ص 560.

- <sup>4</sup> - د. محمّد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، 1967، دط، ص 140-141.

- <sup>5</sup> - د. المحاسني زكي، شعر الحرب في العرب في العصرين الأموي والعبّاسي إلى عهد سيف الدولة، دار المعارف، ط2، دت

- <sup>6</sup> - (( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ))

- <sup>7</sup> - (( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصّابرين ))

- <sup>8</sup> - (( قال ربّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ))

- <sup>9</sup> - (( إنّ شجرة الرّقوم طعام الأثيم ))، (( لأكلون من شجر الرّقوم، فمالئون منها البطون، فشاربون عليه من الحميم )).

- <sup>10</sup> - د. زغينة محمد شعر السجون والمعتقلات في الجزائر 1954-1962، ماجستير، جامعة باتنة 1989-1990 ص 240

- <sup>11</sup> - د. محمد بشركمال، علم اللغة العام، القسم الثّاني- الأصوات - ص 168